الجزء الثالث من كتاب الشفا في حقوق المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم

واما فصاحة اللسان وبلاغة القول فقد كان صلى الله عليه وسلم
من ذلك بالمحل الافضل والموضع الذي لا يجهل سلاسة طبع
وبراعة منزع وايجاز مقطع ونصاعة لفظ وجزالة قول وصحة
معان وقلة تكلف اوتي جوامع الكلم وخص ببدائع الحكم
وعلم السنة العرب فكان صلى الله عليه وسلم يخاطب كل
امة منها بلسانها ويحاورها بلغتها ويباريها في منزع
بلاغتها حتى كان كثير من اصحابه يسئلونه في غير موطن
عن شرح كلامه وتفسير قوله ومن تامل حديثه وسيره علم

ذلك

ذلك وتحققه وليس كلامه مع قريش والانصار واهل الحجاز
ونجد ككلامه مع ذي المشعار الهمداني وطهفة الهندي
وقطن بن حارثة العليمي والاشعث بن قيس ووائل بن حجر الكندي
وغيرهم من اقيال حضرموت وملوك اليمن وانظر كتابه
الى همدان ان لكم فراعها ووهاطها وعزازها تاكلون علافها
وترعون عفاءها لنا من دفئهم وصرامهم ما سلموا بالميثاق والامانة
ولهم من الصدقة الثلب والناب والفصيل والفارض والداجن
والكبش الحوري وعليهم فيها الصالغ والقارح وقوله
صلى الله عليه وسلم لنهد اللهم بارك لهم في محضها ومخضها
ومذقها وابعث راعيها في الدثر وافجر له الثمد وبارك له في
المال والولد من اقام الصلوة كان مسلما ومن اتى الزكوة

كان محسنا ومن شهد ان لا اله الا الله كان مخلصا لكم
يا بني نهد ودائع الشرك ووضايع الملك لا تلطط في الزكوة و
لا تلحد في الحيوة ولا تثاقل عن الصلوة وكتب لهم في الوظيفة
الفريضة ولكم الفارض والفريش وذو العنان الركوب والفلو
الضبيس لا يمنع سرحكم ولا يعضد طلحكم ولا يحبس دركم ما لم
تضمروا الرماق وتاكلوا الرباق من اقر فله الوفاء بالعهد والذمة
ومن ابى فعليه الربوة ومن كتابه لوائل بن حجر الى الاقيال
العباهلة والارواع المشابيب وفيه في التيعة شاة لا مقورة الالياط
ولا ضناك وانطوا الثبجة وفي السيوب الخمس ومن زنى مم بكر
فاصقعوه مائة واستوفضوه عاما ومن زنى مم ثيب فضرجوه
بالاضاميم ولا توصيم في الدين ولا غمة في فرائض الله وكل مسكر

حرام

حرام ووائل بن حجر يترفل على الاقيال اين هذا من كتابه لانس في
الصدقة المشهور ولما كان كلام هؤلاء على هذا الحد وبلاغتهم
على هذا النمط واكثر استعمالهم هذه الالفاظ استعملها معهم
ليبين للناس ما نزل اليهم وليحدث الناس بما يعلمون وكقوله
صلى الله عليه وسلم في حديث عطية السعدي فان اليد العليا
هي المنطية واليد السفلى هي المنطاة قال فكلمنا رسول الله صلى الله
عليه وسلم بلغتنا وقوله في حديث العامري حين ساله فقال له
النبي صلى الله عليه وسلم سل عنك اي سل عما شئت وهي لغة بني
عامر واما كلامه المعتاد وفصاحته المعلومة وجوامع كلمه
وحكمه الماثورة فقد الف الناس فيها الدواوين وجمعت في
الفاظها ومعانيها الكتب ومنها ما لا يوازى فصاحة

ولا يباري بلاغة لقوله المسلمون تتكافؤ دماؤهم ويسعى بذمتهم
ادناهم وهم يد على من سواهم وقوله الناس كاسنان المشط والمرء
من احب ولا خير في صحبة من لا يرى لك مثل ما ترى له والناس
معادن وما هلك امرء عرف قدره والمستشار مؤتمن وهو بالخيار
ما لم يتكلم ورحم الله عبدا قال خيرا فغنم او سكت فسلم وقوله
اسلم تسلم واسلم يؤتك الله اجرك مرتين وان احبكم الي واقربكم
مني مجالس يوم القيمة احاسنكم اخلاقا الموطؤن اكنافا الذين
يألفون ويؤلفون وقوله لعله كان يتكلم بما لا يغنيه وقوله ذو
الوجهين لا يكون عند الله وجيها ونهيه عن قيل وقال وكثرة
السؤال واضاعة المال ومنع وهات وعقوق الامهات ووأد
البنات وقوله اتق الله حيث كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها

وخالق

وخالق الناس بخلق حسن وخير الامور اوساطها وقوله احبب
حبيبك هونا ما عسى ان يكون بغيضك يوما ما وقوله الظلم
ظلمات يوم القيمة وقوله في بعض دعائه اللهم اني اسئلك
رحمة من عندك تهدي بها قلبي وتجمع بها امري وتلم بها شعثي
وتصلح بها غائبي وترفع بها شاهدي وتزكي بها عملي وتلهمني
بها رشدي وترد بها الفتي وتعصمني بها من كل سوء
اللهم اني اسئلك الفوز في القضاء ونزل الشهداء وعيش
السعداء والنصر على الاعداء الى ما رونه الكافة عن الكافة
من مقاماته ومحاوراته وخطبه وادعيته ومخاطباته وعهوده
مما لا خلاف انه نزل من ذلك مرقبة لا يقاس بها غيره وحاز
فيها سبقا لا يقدر قدره وقد جمعت من كلماته التي لم يسبق

اليها ولا قدر احد يفرغ في قالبه عليها كقوله الآن حمي الوطيس
ومات حتف انفه ولا يلدغ المؤمن من جحر مرتين والسعيد من
وعظ بغيره في اخوانها مما يدرك الناظر العجب في مضمنها ويذهب
به الفكر في اداني حكمها وقد قال له اصحابه ما رأينا الذي
هو افصح منك فقال وما يمنعني وانما انزل القرآن بلساني لسان
عربي مبين وقال مرة اخرى بيد اني من قريش ونشأت في بني سعد
فجمع له بذلك صلى الله عليه وسلم قوة عارضة البادية وجزالتها
ونصاعة الفاظ الحاضرة ورونق كلامها التأييد الالهي
الذي مدده الوحي الذي لا يحيط بعلمه بشر وقالت ام معبد
رضي الله عنها في وصفها له حلو المنطق فصل لا نزر ولا هذر
كان منطقه خرزات نظمن وكان جهير الصوت النغمة

صلى الله عليه وسلم فصل واما شرف نسبه وكرم بلده
ومنشأه فما لا يحتاج الى اقامة دليل عليه ولا بيان مشكل
ولا خفي منه فانه نخبة بني هاشم وسلالة قريش وصميمها و
اشرف العرب واعزهم نفرا من قبل ابيه وامه ومن اهل مكة
من اكرم بلاد الله على الله وعلى عباده حدثنا قاضي القضاة
حسين بن محمد الصدفي رحمه الله قال حدثنا القاضي ابو
الوليد سليمان بن خلف حدثنا ابو ذر عبد بن احمد حدثنا ابو
محمد السرخسي وابو اسحق وابو الهيثم قالوا حدثنا محمد بن يوسف
حدثنا محمد بن اسمعيل حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا يعقوب بن
عبد الرحمن عن عمرو عن سعيد المقبري عن ابي هريرة رضي الله عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعثت من خير قرون بني ادم

قرنا فقرنا حتى كنت من القرن الذي كنت منه وعن العباس رضي
الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله خلق الخلق
فجعلني من خيرهم قرنهم ثم تخير القبائل فجعلني من خير
قبيلة ثم تخير البيوت فجعلني من خير بيوتهم فانا خيرهم نفسا
وخيرهم بيتا وعن واثلة بن الاسقع قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان الله اصطفى من ولد ابرهيم اسمعيل واصطفى
من ولد اسمعيل بني كنانة واصطفى من بني كنانة قريشا واصطفى
من بني هاشم واصطفاني من بني هاشم قال الترمذي وهذا حديث
صحيح وفي حديث عن ابن عمر رضي الله عنه رواه الطبري انه
صلى الله عليه وسلم قال ان الله اختار خلقه فاختار منهم بني
ادم ثم اختار بني ادم فاختار منهم العرب ثم اختار العرب فاختار

منهم قريشا ثم اختار قريشا فاختار قريشا فاختار منهم بني هاشم
ثم اختارني بني هاشم فاختارني فلم ازل خيرا من خيار الا فمن احب
العرب فبحبي احبهم ومن ابغض العرب فببغضي ابغضهم وعن ابن
عباس ان قريشا كانت نورا بين يدي الله تعالى قبل ان يخلق ادم
بالفي عام يسبح ذلك النور وتسبح الملائكة بتسبيحه فلما
خلق الله ادم القي ذلك النور في صلبه فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاهبطني الله الى الارض في صلب ادم وجعلني
في صلب نوح وقذف بي في صلب ابراهيم ثم لم يزل الله تعالى
ينقلني من الاصلاب الكريمة الى الارحام الطاهرة حتى اخرجني من
بين ابوي لم يلتقيا على سفاح قط ويشهد بصحة هذا الخبر شعر العباس
في مدح النبي صلى الله عليه وسلم المشهور فصل واما ما ادعو

ضرورة الحوجة اليه مما فصلناه فعلى ثلاثة ضروب ضرب الفضل
في قلته وضرب الفضل في كثرته وضرب تختلف الاحوال فيه فاما
ما التمدح والكمال بقلته اتفاقا وعلى كل حال عادة وشريعة
كالغذاء والنوم ولم تزل العرب والحكماء تتمادح بقلتهما وتذم
بكثرتهما لان كثرة الاكل والشرب دليل على النهم والحرص والشره
وغلبة الشهوة مسبب لمضار الدنيا والاخرة جالب لادواء
الجسد وخثارة النفس وامتلاء الدماغ وقلته دليل على القناعة
وملك النفس وقمع الشهوة مسبب الصحة وصفاء الخاطر وحدة
الذهن كما ان كثرة النوم دليل على الفسولة والضعف وعدم الذكاء
والفطنة مسبب الكسل وعادة العجز وتضييع العمر في غير نفع
وقساوة القلب وغفلته وموته والشاهد على هذا ما يعلم ضرورة

ويوجد مشاهدة وينقل متواترا من كلام الامم المتقدمة والحكماء
السالفين واشعار العرب واخبارها وصحيح الحديث واثار من
سلف وخلف مما لا يحتاج الى الاستشهاد عليه اختصارا
واقتصارا على اشتهار العلم به وكان النبي صلى الله
عليه وسلم قد اخذ من هذين الفنين بالاقل هذا ما لا يدفع من
سيرته وهو الذي امر به وحض عليه لا سيما بارتباط احدهما
بالاخر حدثنا ابو علي الصدفي الحافظ بقراءتي عليه قال حدثنا
ابو الفضل الاصبهاني قال حدثنا ابو نعيم الحافظ قال
حدثنا سليمان بن احمد قال حدثنا بكر بن سهل قال حدثنا عبد الله
ابن صالح قال حدثني معاوية بن صالح ان يحيى بن جابر حدثه عن المقدام
ابن معدي كرب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما ملا

ابن آدم وعاء شرا من بطنه حسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه فإن كان
لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه ولأن كثرة
النوم من كثرة الأكل والشراب قال سفيان الثوري بقلة
الطعام يملك سهر الليل وقال بعض السلف لا تأكلوا كثيرا فتشربوا
كثيرا فترقدوا كثيرا فتخسروا كثيرا وقد روي عنه صلى الله
عليه وسلم أنه كان أحب الطعام إليه ما كان على ضفف أي كثرة
الأيدي وعن عائشة رضي الله عنها لم يمتلئ جوف النبي صلى
الله عليه وسلم شبعا قط وأنه كان في أهله لا يسألهم طعاما
ولا يتشهاه إن أطعموه أكل وما أطعموه قبل وما سقوه شرب ولا
يعترض على هذا بحديث بريرة وقوله ألم أر البرمة فيها لحم إذ لعل سبب
سؤاله ظنه صلى الله عليه وسلم اعتقادهم أنه لا يحل له فأراد

بيان سنته إذ رآهم لم يقدموه إليه مع علمه أنهم لا يستأثرون
عليه به فصدق عليهم ظنه وبين لهم ما جهلوه من أمره بقوله
هو لها صدقة ولنا هدية وفي حكمة لقمان يا بني إذا امتلأت
المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الأعضاء عن
العبادة وقال سحنون لا يصلح العلم لمن يأكل حتى يشبع وفي صحيح
الحديث قوله صلى الله عليه وسلم أما أنا فلا آكل متكئا والاتكاء هو
التمكن للأكل والتقعد في الجلوس له كالمتربع وشبهه من تمكن الجلسات
التي يعتمد فيها الجالس على ما تحته والجالس على هذه الهيئة يستدعي
الأكل ويستكثر منه والنبي صلى الله عليه وسلم إنما كان
جلوسه للأكل جلوس المستوفز مقعيا ويقول إنما أنا عبد آكل كما
يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد وليس معنى الحديث في الاتكاء

الميل على شيء عند المحققين وكذلك نومه صلى الله عليه وسلم كان قليلا
شهدت بذلك الأخبار الصحيحة ومع ذلك فقد قال إن عيني تنامان
ولا ينام قلبي وكان نومه على جانبه الأيمن استظهارا على قلة النوم لأنه
على الجانب الأيسر أهنأ لهدو القلب وما يتعلق به من الأعضاء الباطنة
حينئذ لميلها إلى الجانب الأيسر فيستدعي ذلك الاستثقال فيه و
الطول وإذا نام النائم على الأيمن تعلق القلب وقلق فأسرع
الإفاقة ولم يغمره الاستغراق **فصل** والضرب الثاني ما يتفق
التمدح بكثرته والفخر بوفوره كالنكاح والجاه أما النكاح
فمتفق فيه شرعا وعادة فإنه دليل الكمال وصحة الذكورية ولم
يزل التفاخر بكثرته عادة معروفة والتمادح به سيرة ماضية
وأما في الشرع فسنة مأثورة وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما

أفضل هذه الأمة أكثرها نساء مشيرا إليه صلى الله عليه
وسلم وقد قال عليه الصلوة والسلام تناكحوا فإني أبا
مباه بكم الأمم ونهى عن التبتل مع ما فيه من قمع الشهوة وغض
البصر اللذين نبه عليهما صلى الله عليه وسلم بقوله من كان
ذا طول فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج حتى لم يره
العلماء مما يقدح في الزهد قال سهل بن عبد الله قد حببن إلى
سيد المرسلين فكيف يزهد فيهن ونحوه لابن عيينة وقد كان
زهاد الصحابة كثيري الزوجات والسراري كثيري النكاح وحكي في
ذلك عن علي والحسن وابن عمر وغيرهم غير شيء وقد كره غير واحد أن
يلقى الله عزبا فإن قلت كيف يكون النكاح وكثرته من الفضائل
وهذا يحيى بن زكريا قد أثنى الله عليه أنه كان حصورا فكيف يثني الله

الله عليه بالعجز عما تعده فضيلة وهذا عيسى عليه السلام تبتل
من النساء ولو كان كما قررته لنكح فاعلم ان ثناء الله على
يحيى بانه حصور ليس كما قال بعضهم انه كان هيوبا او لا ذكر له بل
قد انكر هذا حذاق المفسرين ونقاد العلماء وقالوا هذه نقيصة و
عيب ولا تليق بالانبياء وانما معناه انه معصوم من الذنوب
اى لا ياتيها كانه حصر عنها وقيل مانعا نفسه من الشهوات
وقيل ليست له شهوة فى النساء فقد بان لك من هذا ان عدم القدرة
على النكاح نقص وانما الفضل فى كونها موجودة ثم قمعها
اما بمجاهدة كعيسى عليه السلام او بكفاية من الله كيحيى عليه السلام
فضيلة زائدة لكونها شاغلة فى كثير من الاوقات حاطة الى
الدنيا ثم هى فى حق من اقدر عليها وملكها وقام بالواجب فيها ولم

تشغله عن ربه درجة عليا وهى درجة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم
الذى لم تشغله كثرتهن عن عبادة ربه بل زاده ذلك عبادة لتحصينهن
وقيامه بحقوقهن واكتسابه لهن وهدايته اياهن بل صرح
انها ليست من حظوظ دنياه هو وان كانت من حظوظ دنيا غيره فقال
حبب الى من دنياكم فدل على ان حبه لما ذكر من النساء والطيب التى هى
من امور دنيا غيره واستعماله لذلك ليس لدنياه بل للآخرة للفوائد التى
ذكرناها فى التزويج وللقاء الملائكة فى الطيب ولانه ايضا
مما يحض على الجماع ويعين عليه ويحرك اسبابه وكان حبه لهاتين
الخصلتين لاجل غيره وقمع شهوته وكان حبه الحقيقى المختص بذاته فى
مشاهدة جبروت مولاه ومناجاته ولذلك ميز بين الحبين وفصل بين
الحالين فقال وجعلت قرة عينى فى الصلوة فقد ساوى يحيى وعيسى فى

الذين نسخة صحيحة

كفاية فتنتهن وزاد فضيلة بالقيام بهن وكان صلى الله عليه وسلم
لمن قدر على القوة في هذا واعطى الكثير منه ولهذا ابيح من عدد الحراير
ما لم يبح لغيره وقد روينا عن انس انه كان صلى الله عليه وسلم
يدور على نسائه في الساعة من الليل والنهار وهن احدى عشرة قال
انس وكنا نتحدث انه اعطي قوة ثلاثين رجلا اخرجه النسائي وقد قال
سليمان عليه السلام لاطوفن الليلة على مائة امرأة او تسع و
تسعين وانه فعل ذلك وروى نحوه عن ابي رافع وعن طاوس اعطي
عليه الصلوة والسلام قوة اربعين رجلا في الجماع ومثله عن صفوان
ابن سليم وقالت سلمى مولاته طاف النبي صلى الله عليه وسلم
ليلة على نسائه التسع وتطهر من كل واحدة قبل ان ياتي الاخرى
وقال هذا اطهر واطيب قال ابن عباس كان في ظهر سليمان ماء مائة

رجل وكانت له ثلاث مائة امرأة وثلاث مائة سرية وحكى النقاش
سبع مائة امرأة وثلاث مائة سرية وقد كان لداود عليه
السلام على زهده واكله من عمل يديه تسع وتسعون امرأة وتمت
بزوجة اوريا مائة وقد نبه على ذلك الكتاب العزيز بقوله تعالى
ان هذا اخي له تسع وتسعون نعجة وفي حديث انس عنه عليه
الصلوة والسلام فضلت على الناس باربع بالسخاء والشجاعة
وكثرة الجماع وقوة البطش واما الجاه فمحمود عند العقلاء
عادة وبقدر جاهه عظمه في القلوب وقد قال تعالى في صفة
عيسى عليه السلام وجيها في الدنيا والاخرة لكن آفاته كثيرة فهو مضر
ببعض الناس لعقبى الآخرة فلذلك ذمه من ذمه ومدح ضده وورد في
الشرع مدح الخمول وذم العلو في الارض وكان صلى الله عليه وسلم

قد رزق من الحشمة والمكانة في القلوب والعظمة قبل النبوة عند الجاهلية
وبعدها وهم يكذبونه ويؤذون أصحابه ويقصدون أذاه في نفسه خفية
حتى إذا واجهوه أعظموا أمره وقضوا حاجته وأخباره في ذلك
معروفة سيأتي بعضها وقد كان يبهت ويفرق من رؤيته من لم يره كما
روي عن قيلة أنها لما رأته أرعدت من الفرق فقال يا مسكينة عليك
السكينة وفي حديث أبي مسعود أن رجلا قام بين يديه فأرعد فقال له
صلى الله عليه وسلم هون عليك فإني لست بملك الحديث فأما
عظيم قدره بالنبوة وشريف منزلته بالرسالة وإنافة رتبته
بالاصطفاء والكرامة في الدنيا فأمر هو أبلغ النهاية ثم هو في
الآخرة سيد ولد آدم وعلى معنى هذا الفصل نظمنا هذا القسم

فصل وأما الضرب الثالث فهو ما تختلف الحالات في التمدح به

والتفاخر بسببه والتفضيل لأجله ككثرة المال فصاحبه
على الجملة معظم عند العامة لاعتقادها توصله به إلى حاجاته
وتمكن أغراضه بسببه وإلا فليس فضيلة في نفسه فمتى كان المال
بهذه الصورة وصاحبه منفقا له في مهماته ومهمات من
اعتراه وأمله وتصريفه في مواضعه مشتريا به المعالي
والثناء الحسن والمنزلة في القلوب كان فضيلة في صاحبه
عند أهل الدنيا وإذا صرفه في وجوه البر وأنفقه في سبيل
الخير وقصد بذلك الله والدار الآخرة كان فضيلة عند الكل
بكل حال ومتى كان صاحبه ممسكا له غير موجهه
وجوهه حريصا على جمعه عاد كثره كالعدم وكان منقصة
في صاحبه ولم يقف به على جدد السلامة بل أوقعه في هوة

رذيلة البخل ومذمة التنالة فاذا التمدح بالمال وفضيلة
عند مفضليه ليست لنفسه وانما هو للتوصل به الى غيره
وتصريفه في متصرفاته فجامعه اذا لم يضعه مواضعه ولا وجهه
وجوهه غير ملي بالحقيقة ولا غني بالمعنى ولا ممتدح عند
احد من العقلاء بل هو فقير ابدا غير واصل الى غرض من اغراضه
اذ ما بيده من المال الموصل لها لم يسلط عليه فاشبه
خازن مال غيره ولا مال له فكانه ليس في يده منه شيء والمنفق
ملي غني بتحصيله فوايد المال وان لم يبق في يده من المال شيء
فانظر سيرة نبينا صلى الله عليه وسلم وخلقه في المال تجده
قد اوتي خزائن الارض ومفاتيح البلاد واحلت له الغنائم
ولم تحل لنبي قبله وفتح عليه في حياته صلى الله عليه وسلم

بلاد الحجاز واليمن وجميع جزيرة العرب وما دانا ذلك
من الشام والعراق وجلبت اليه من اخماسها وجزيتها
وصدقاتها ما لا يجبى للملوك الا بعضه وهادته جماعة من
ملوك الاقاليم فما استاثر بشيء منه ولا امسك منه
درهما بل صرفه مصارفه واغنى به غيره وقوى به المسلمين
وقال ما يسرني ان لي احدا ذهبا يبيت عندي منه دينار
الا دينارا ارصده لديني واتته دنانير مرة فقسمها فبقيت
منها بقية فدفعها لبعض نسائه فلم ياخذه نوم حتى قام وقسمها
وقال الان استرحت ومات صلى الله عليه وسلم ودرعه
مرهونة في نفقة عياله واقتصر من نفقته وملبسه ومسكنه
على ما تدعوه ضرورته اليه وزهد فيما سواه فكان يلبس ومسكنه

ما وجد فيلبس في الغالب الشملة والكساء الخشن والبرد
الغليظ ويقسم على من حضره اقبية الديباج المخوصة بالذهب
ويرفع لمن لم يحضره اذ المباهات في الملابس والتزين بها
ليس من خصال الشرف والجلالة وهي من سمات النساء
والمحمود منها نقاوة الثوب والتوسط في جنسه وكون
لبس مثله غير مسقط لمروة جنسه مما لا يؤدي الى الشهرة
في الطرفين وقد ذم الشرع ذلك وغاية الفخر فيه في العادة
عند الناس انما يعود الى الفخر بكثرة الموجود ووفور
الحال وكذلك التباهي بجودة المسكن وسعة المنزل
وتكثير آلاته وخدمه ومركوباته ومن ملك الارض وجبي
اليه ما فيها فترك ذلك زهدا وتنزها فهو حائز لفضيلة المالية

ما لك للفخر بهذه الخصلة ان كانت فضيلة زائد عليها في الفخر
ومعرق في المدح باضرابه عنها وزهده في فانيها وبذلها
في مظانها **فصل** واما الخصال المكتسبة من الاخلاق
الحميدة والاداب الشريفة التي اتفق جميع العقلاء
على تفضيل صاحبها وتعظيم المتصف بالخلق الواحد منها
فضلا عما فوقه واثنى الشرع على جميعها وامر بها ووعد
السعادة الدائمة للمتخلق بها ووصف بعضها بانه من اجزاء
النبوة وهي المسماة بحسن الخلق وهو الاعتدال في قوى
النفس واوصافها والتوسط فيها دون الميل الى منحرف
اطرافها فجميعها قد كانت خلق نبينا صلى الله عليه وسلم
على الانتهاء في كمالها والاعتدال الى غايتها حتى اثنى

الله عليه بذلك فقال وإنك لعلى خلق عظيم قالت
عايشة رضي الله عنها كان خلقه القرآن يرضى برضاه ويسخط
بسخطه وقال عليه الصلاة والسلام بعثت لأتمم مكارم
الأخلاق قال أنس رضي الله عنه كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم أحسن الناس خلقا وعن علي بن أبي طالب
رضي الله عنه مثله وكان فيما ذكره المحققون مجبولا عليها
في أصل خلقته وأول فطرته لم تحصل له باكتساب ولا رياضة
إلا بجود إلهي وخصوصية ربانية وهكذا لسائر الأنبياء
صلوات الله على جميعهم ومن طالع سيرهم منذ صباهم
إلى مبعثهم حقق ذلك كما عرف من حال موسى وعيسى ويحيى
وسليمان وغيرهم عليهم السلام بل غرزت فيهم هذه الأخلاق

في الجبلة وأودعوا العلم والحكمة في الفطرة قال الله تعالى
وآتيناه الحكم صبيا قال المفسرون أعطي يحيى عليه
السلام العلم بكتاب الله تعالى في حال صباه وقال معمر كان
ابن سنتين أو ثلث فقال له الصبيان لم لا تلعب فقال أللعب
خلقت وقيل في قوله مصدقا بكلمة من الله صدق يحيى بعيسى
وهو ابن ثلاث سنين فشهد له أنه كلمة الله وروحه وقيل
صدقه وهو في بطن أمه فكانت أم يحيى تقول لمريم إني أجد
ما في بطني يسجد لما في بطنك تحية له وقد نص الله على كلام
عيسى لأمه عند ولادتها إياه بقوله لها ألا تحزني على قراءة
من قرأ من تحتها وعلى قول من قال إن المنادي عيسى
ونص على كلامه في مهده فقال إني عبد الله آتاني الكتاب

وجعلني نبيا وقال ففهمناها سليمان وكلا آتينا
حكما وعلما وقد ذكر من حكم سليمان عليه السلام وهو
صبي يلعب في قصة المرجومة وفي قصة الصبي ما اقتدى به
داود ابوه وحكى الطبري ان عمره كان حين اوتي الملك
اثني عشر عاما وكذلك قصة موسى عليه السلام مع فرعون
واخذه بلحيته وهو طفل وقال المفسرون في قوله تعالى
ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل اي هديناه صغيرا قاله
مجاهد وغيره وقال ابن عطا اصطفاه الله قبل ابداء
خلقه وقال بعضهم لما ولد ابراهيم عليه السلام
بعث الله اليه ملكا يامره عن الله ان يعرفه بقلبه ويذكره
بلسانه فقال قد فعلت ولم يقل افعل فذلك رشده

وقيل ان القاء ابراهيم عليه السلام في النار ومحنته
كانت وهو ابن ست عشرة سنة وان ابتلاء اسحق عليه
السلام بالذبح وهو ابن سبع سنين وان استدلال
ابراهيم عليه السلام بالكوكب والقمر والشمس كان وهو
ابن خمس عشرة شهرا وقيل اوحى الله الى يوسف عليه السلام
وهو صبي عندما هم اخوته بالقائه في الجب بقول تعالى
واوحينا اليه لتنبئنهم بامرهم هذا الاية الى غير ذلك
مما ذكر من اخبارهم وقد حكى اهل السير ان امنة بنت
وهب اخبرت ان نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم ولد حين
ولد باسطا يديه الى الارض رافعا راسه الى السماء
وقال في حديثه صلى الله عليه وسلم لما نشأت بغضت

الى الاوثان وبعض الى الشعر ولم اهم بشيء مما كانت
الجاهلية تفعله الامرتين فعصمني الله منهما ثم لم اعد ثم
يتمكن الامر لهم وتترادف نفحات الله عليهم وتشرق انوار
المعارف في قلوبهم حتى يصلوا الغاية ويبلغوا باصطفاء
الله تعالى لهم بالنبوة في تحصيل هذه الخصال الشريفة الى انها
دون ممارسة ولا رياضة قال الله تعالى ولما بلغ اشده
واستوى اتيناه حكما وعلما وقد نجد غيرهم يطبع على بعض
هذه الاخلاق دون جميعها ويولد عليها فيسهل عليه
اكتساب تمامها عناية الله تعالى كما نشاهد من خلقه بعض
الصبيان على حسن السمت او الشهامة او صدق اللسان
او السماحة وكما نجد بعضهم على ضدها فبالاكتساب يكمل

ناقصها وبالرياضة والمجاهدة يستجلب معدومها و
يعتدل منحرفها وباختلاف هذين الحالين يتفاوت الناس
فيها وكل ميسر لما خلق له ولهذا ما قد اختلف السلف فيها هل
هذه الخلق جبلة او مكتسبة فحكى الطبراني عن بعض السلف
ان الخلق الحسن جبلة وغريزة في العبد وحكاه عن عبد الله
بن مسعود والحسن وبه قال هو والصواب ما اصلناه وقد
روى سعد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كل الخلال
يطبع عليها المؤمن الا الخيانة والكذب وقال عمر بن الخطاب
رضي الله عنه في حديثه والجرءة والجبن غرائز يضعها الله
حيث يشاء وهذه الاخلاق المحمودة والخصال الشريفة
الجميلة كثيرة ولكنا نذكر اصولها ونشير الى جميعها ونحقق

وصفه صلى الله عليه وسلم بها ان شاء الله تعالى **فصل**

اما اصل فروعها وعنصر ينابيعها ونقطة دائرتها
فالعقل الذى منه ينبعث العلم والمعرفة ويتفرع عن هذا
ثقوب الرأى وجودة الفطنة والاصابة وصدق الظن
والنظر للعواقب ومصالح النفس ومجاهدة الشهوة وحسن
السياسة والتدبير واقتناء الفضائل وتجنب الرذائل
وقد اشرنا الى مكانه منه صلى الله عليه وسلم وبلوغه منه
ومن العلم الغاية التى لم يبلغها بشر سواه واذ جلالة محله
من ذلك ومما تفرع منه متحقق عند من تتبع مجارى احواله
واطراد سيره وطالع جوامع كلامه وحسن شمائله وبدايع
سيره وحكم حديثه وعلمه بما فى التوراة والانجيل والكتب

المنزلة وحكم الحكماء وسير الامم الخالية وايامها وضرب
وسياسات الانام وتقرير الشرايع وتأصيل الاداب
النفيسة والشيم الحميدة الى فنون العلوم التى اتخذ اهلها كلامه
صلى الله عليه وسلم فيها قدوة واشاراته حجة كالعبارة
والطب والحساب والفرائض والنسب وغير ذلك مما سنبينه
فى معجزاته ان شاء الله تعالى دون تعليم ولا مدارسة ولا مطالعة
كتب من تقدمه ولا الجلوس الى علمائهم بل هو صلى الله عليه
وسلم نبى امى لم يعرف بشئ من ذلك حتى شرح الله صدره
وابان امره وعلمه واقرأه يعلم ذلك بالمطالعة والبحث عن حاله
ضرورة وبالبرهان القاطع على نبوته نظرا فلا نطول بسرد
الاقاصيص واحاد القضايا اذ مجموعها ما لا يأخذه حصر

ولا يحيط به حفظ جامع وبحسب عقله صلى الله عليه
وسلم كانت معارفه صلى الله عليه وسلم الى سائر ما علمه
الله تعالى واطلعه عليه من علم ما يكون وما كان وعجائب
قدرته وعظيم ملكوته قال الله تعالى وعلمك ما لم تكن تعلم
وكان فضل الله عليك عظيما حارت العقول في تقدير
فضله عليه وخرست الالسن دون وصف يحيط بذلك
او ينتهي اليه **فصل** واما الحلم والاحتمال والعفو مع
المقدرة والصبر على ما يكره وبين هذه الالقاب فرق فان
الحلم حالة توقر وثبات عند الاسباب المحركات والاحتمال
حبس النفس عند الالام والمؤذيات ومثلها الصبر ومعانيها
متقاربة واما العفو فهو ترك المؤاخذة وهذا كله مما ادب

الله سبحانه به نبيه صلى الله عليه وسلم فقال خذ العفو
وأمر بالعرف الاية روي ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
لما نزلت عليه هذه الاية سأل جبريل صلى الله عليه وسلم
عن تأويلها فقال له حتى اسأل العالم ثم ذهب ثم اتاه
فقال يا محمد ان الله يامرك ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك
وتعفو عمن ظلمك وقال له واصبر على ما اصابك الاية
وقال تعالى فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل وقال
تعالى وليعفوا وليصفحوا الاية وقال تعالى ولمن صبر
وغفر ان ذلك لمن عزم الامور ولا خفاء بما يؤثر من حلمه
واحتماله وان كل حليم قد عرفت منه زلة وحفظت عنه
هفوة وهو صلى الله عليه وسلم لا يزيد مع كثرة الاذى

إلا صبرا وعلى إسراف الجاهل إلا حلما حدثنا القاضي أبو عبد الله
محمد بن علي التغلبي وغيره قالوا حدثنا محمد بن عتاب قال
حدثنا أبو بكر بن وافد القاضي وغيره قالوا حدثنا أبو عيسى
قال حدثنا عبيد الله قال حدثنا يحيى بن يحيى قال حدثنا مالك
عن ابن شهاب عن عروة عن عايشة رضي الله عنها قالت ما خير
رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمرين قط إلا اختار
أيسرهما ما لم يكن إثما فإن كان إثما كان أبعد الناس منه
وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه إلا أن
تنتهك حرمة الله فينتقم لله بها وروي أن النبي صلى الله
عليه وسلم لما كسرت رباعيته وشج وجهه يوم أحد شق ذلك
على أصحابه رضي الله عنهم شديدا وقالوا لو دعوت عليهم

فقال صلى الله تعالى عليه وسلم إني لم أبعث لعانا ولكني
بعثت داعيا ورحمة اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون وروي
عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه أنه قال في بعض كلامه
بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد دعا نوح على قومه فقال
رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا ولو دعوت علينا
مثلها لهلكنا من عند آخرنا فلقد وطئ ظهرك وأدمي وجهك
وكسرت رباعيتك فأبيت أن تقول إلا خيرا فقلت اللهم اغفر
لقومي فإنهم لا يعلمون قال الفقيه القاضي أبو الفضل رحمه
الله عنه انظر ما في هذا القول من جماع الفضل ودرجات
الإحسان وحسن الخلق وكرم النفس وغاية الصبر والحلم
إذ لم يقتصر صلى الله تعالى عليه وسلم على السكوت عنهم

حتى ثم اشفق عليهم ورحمهم ودعا وشفع لهم فقال
اللهم اغفر واهد ثم اظهر سببا الشفقة والرحمة بقوله
صلى الله تعالى عليه وسلم لقومي ثم اعتذر عنهم بجهلهم
فقال فانهم لا يعلمون ولما قال له الرجل اعدل فان هذه
قسمة ما اريد بها وجه الله لم يزده صلى الله تعالى عليه وسلم
في جوابه ان بين له ما جهله ووعظ نفسه وذكرها بما قال
له فقال ويحك فمن يعدل اذ لم اعدل خبت وخسرت ان لم اعدل
ونهى من اراد من اصحابه قتله ولما تصدى له غورث بن
الحارث ليفتك به ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
منتبذ تحت شجرة وحده قايلا والناس قايلون في غزاة فلم
ينتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم الا وهو قائم والسيف

صلتا في يده فقال من يمنعك مني فقال الله فسقط السيف
من يده فاخذه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقال من
يمنعك مني قال كن خير آخذ فتركه وعفا عنه فجاء الى قومه
فقال جئتكم من عند خير الناس ومن عظيم خبره صلى الله تعالى
عليه وسلم في العفو عفوه عن اليهودية التي سمته في الشاة
بعد اعترافها على الصحيح من الرواية وانه لم يؤاخذ لبيد ابن الاعصم
اذ سحره وقد اعلم به واوحى اليه بشرح امره ولا عتب عليه
فضلا من معاقبته وكذلك لم يؤاخذ عبد الله بن ابي و
اشباهه من المنافقين بعظيم ما نقل عنهم في جهته صلى الله
تعالى عليه وسلم قولا وفعلا بل قال لمن اشار بقتل بعضهم
لا يتحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه وعن انس رضي الله تعالى

عنه كنت مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وعليه برد
غليظ الحاشية فجبذه اعرابي بردائه جبذة شديدة حتى
اثرت حاشية البرد في صفحة عاتقه صلى الله تعالى عليه
وسلم ثم قال يا محمد احمل لي على بعيري هذين من مال الله
الذي عندك فانك لا تحمل لي من مالك ولا من مال ابيك
فسكت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ثم وقال المال
مال الله وانا عبده ثم قال ويقاد منك يا اعرابي ما فعلت
بي قال لا قال لم قال لانك لا تكافئ بالسيئة السيئة
فضحك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم امر ان
يحمل له على بعير شعير وعلى الاخر تمر قالت عايشة رضي
الله تعالى ما رايت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

منتصرا من ظلمه ظلمها قط ما لم تكن حرمة من محارم الله
تعالى وما ضرب بيده شيئا قط الا ان يجاهد في سبيل
الله وما ضرب خادما ولا امراة وجئ اليه برجل فقيل له
هذا اراد ان يقتلك فقال له صلى الله تعالى عليه وسلم لن تراع
لن تراع ولو اردت ذلك لم تسلط علي وجاءه زيد بن سعنة
قبل اسلامه يتقاضاه دينا عليه فجبذ ثوبه عن منكبيه واخذ
بمجامع ثيابه واغلظ له ثم قال انكم يا بني عبد المطلب مطل
فانتهره عمر رضي الله تعالى عنه وشدد له في القول والنبي
صلى الله تعالى عليه وسلم يتبسم فقال رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم انا وهو كنا الى غير هذا منك احوج يا عمر
تامرني بحسن القضاء وتامره بحسن التقاضي ثم قال صلى الله

تعالى عليه وسلم لقد بقي من اجله ثلث وامر عمر رضى الله تعالى
عنه بقضيه ماله ويزيده عشرين صاعا لما روعه فكان سبب
اسلامه وذلك انه كان يقول ما بقي من علامات النبوة شئ
الا وقد عرفتها في محمد صلى الله تعالى عليه وسلم الا اثنتين
لم اخبرهما يسبق حلمه جهله ولا يزيده شدة الجهل عليه الا
حلما فاخبرته بهذا فوجده كما وصف والحديث عن حلمه صلى
الله تعالى عليه وسلم وصبره وعفوه عند المقدرة اكثر
من ان ناتي عليه وحسبك ما ذكرناه مما في الصحيح والمصنفات
الثابتة الى ما بلغ متواترا مبلغ اليقين من صبره على مقاساة
قريش واذى الجاهلية ومصابرة الشدائد الصعبة معهم
الى ان اظفره الله تعالى عليهم وحكمه فيهم وهم لا يشكون

في استيصال شأفتهم وابادة خضرائهم فما زاد على ان عفا وصفح
وقال ما تقولون اني فاعل بكم قالوا خيرا اخ كريم وابن اخ كريم فقال
صلى الله تعالى عليه وسلم اقول كما قال اخي يوسف لا تثريب
عليكم الاية اذهبوا فانتم الطلقاء وقال انس رضى الله تعالى
عنه هبط ثمانون رجلا من التنعيم صلوة الصبح ليقتلوا رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاخذوا فاعتقهم رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم فانزل الله تعالى وهو الذي كف
ايديهم عنكم وايديكم عنهم الاية وقال صلى الله تعالى عليه وسلم
لابي سفيان وقد سيق اليه بعد ان جلب اليه الاحزاب وقتل عمه
واصحابه ومثل بهم فعفا عنه ولاطفه في القول ويحك يا ابا سفيان
الم يان لك ان تعلم ان لا اله الا الله فقال بابي انت وامي يا رسول الله

مَا اَحْلَمَكَ وَاَوْصَلَكَ وَاَكْرَمَكَ وَكَانَ صَلَّى اللّٰهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

اَبْعَدُ النَّاسِ غَضَبًا وَاَسْرَعُهُمْ رِضًا صَلَّى اللّٰهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ